تحية لشرطة البحرين في عيدها المئوي

نشر في جريدة أخبار الخليج بتاريخ 8 ديسمبر 2019

بقلم: الدكتور زكريا خنجي

ذات يوم كنا مجموعة من المدربين في بلد عربي، وفي فترة الاستراحة جلسنا نتحدث.. كل منا يتحدث عن وطنه وما يحويه الوطن، وكان الحديث كأمواج البحر ليس له حدود أو نطاق، فالجميع يتحدث في أي شيء وربما من غير روابط، ولكن تحدث أحد الإخوة عن الشرطة في بلاده ومدحهم لأنه كمدرب عمل لهم بعض الدورات التدريبية، ثم تحدث عن تطور الشرطة في بلاده وما إلى ذلك، فقلت له مفتخرًا: ولكن الشرطة في بلادي أرقى بكثير مما لديكم.

قال: كيف ؟

قلت: إن شرطة بلادي دخلوا في العديد من التجارب العملية على أرض الواقع، وتعلموا من تلك التجارب، تُعد البحرين – على الرغم من صغر مساحتها – من أكثر الدول العربية التي تعرضت للمشاكل والاضطرابات والمؤامرات الخارجية، ولكن كلها كانت لها وزارة الداخلية بالمرصاد، فقد أحبطت الشرطة كل تلك المؤامرات التي حيكت لها في الظلام أيّا كانت.

ثم أردفت: هذه المؤامرات – وإن كنا نعيذ أنفسنا منها ولا نريدها – إلا أنها صقلت شرطي بلادي ومنحته القوة والجرأة والولاء التام للحكومة والبلاد، فقد أقسم هذا الشرطي على حفظ أمن البلاد والعباد، وهو اليوم يقوم بواجبه أفضل قيام، ليس لأنه عمله فقط، وإنما رجال ونساء وزارة الداخلية عندنا يشعرون أنهم أمام مسؤولية وأمانة يحافظون عليها أمام اللّه سبحانه أولاً ثم أمام الملك والشعب، لذلك نعرف دائمًا أن وزارة الداخلية لدينا يمكن أن تُعدّ من أفضل وزارات الداخلية العربية.

حاول أن يتحدث الزميل، ولكني قاطعته وقلت: بالإضافة إلى ذلك الشرطي أو الشرطية الذي يستشعر هذه المسؤولية أمام اللّه سبحانه يتعامل مع الناس والمواطن بكل أدب وحب وأخلاق، فهو لا يتعالى عليهم ولا يحاول أن يرهبهم وإنما يعامل المواطنين كأبناء وإخوة وأخوات، وأمهات وآباء، فأعطني بلداً يتعامل فيه الشرطي مع المواطن هذه المعاملة.

وانتهى الكلام عند هذا الحد، ولكن الحديث لم ينته، فالحقيقة شمس لا يغطيها المنخل، كما يقال.

فعندما نتحدث عن شرطة البحرين أو وزارة الداخلية عندنا فإننا نتحدث عن صرح شامخ ومتجذر، نتحدث عن تاريخ ربما يتجاوز 100 عام، نتحدث عن تغييرات وتطوير كبير في الهيكل التنظيمي والإداري، نتحدث عن تغيير كبير في ثقافة وفكر، نتحدث عن تطور كبير في رؤية وأهداف هذه المنظومة الجبارة المتأصلة في التاريخ.

ربما بدأ التسجيل التاريخي لهذا الصرح منذ عام 1919 ولكن حتمًا كانت هناك إرهاصات ومناقشات وبدايات لإنشاء هذا الصرح، فهو لم يولد من فراغ في تلك اللحظة التاريخية، ولم يتكون في تلك اللحظات، وإنما نحسب أنه كان هناك الكثير من المداولات والأفكار لولادة شرطة البحرين، فتواجدت بالفعل في تلك اللحظة التاريخية، واستمرت وتطورت على مدى مائة عام.

ولا نريد هنا أن نسرد تاريخ إنشاء شرطة البحرين، فهذا التاريخ مكتوب في كتب ومراجع يمكن للراغبين العودة إليها وقتما شاؤوا، ولكن دعونا نتحدث عن كل تلك التطورات والأحداث التي مرت علينا وكانت الداخلية طرفًا فيها.

أثناء الغزو العراقي للشقيقة الكويت، تم تداول الكثير من الإشاعات عن الأسلحة الكيميائية التي يمتلكها النظام العراقي آنذاك، وأذكر أن هذه الإشاعات خلقت الكثير من البلبلة والمشاكل بين المواطنين، فتجرأتُ أنا وكتبت عن الأسلحة الكيميائية في جريدة «أخبار الخليج» في صفحة البيئة ولكن بتخوف شديد لأن التوتر كان يسود الوضع في كل دول الخليج، فكتبتُ مقالاً في صفحة البيئة عن الأسلحة والحرب الكيميائية، وكان المقال عبارة عن اختصار لأحد الكتب والمراجع التي أمتلكها في ذلك الوقت، إذ لم نكن نملك آنذاك الانترنت، فنُشر المقال، وفي نفس اليوم اتصل بي مدير تحرير جريدة «أخبار الخليج» وقال لي: إن وزارة الداخلية تسأل عنك.

فماذا تتصورون أن يكون شعوري آنذاك ؟

كلها لحظات ورنّ تلفون المكتب، رفعت سماعة التلفون، وقلت: من ؟ قال: فلان من وزارة الداخلية.

قلت: خير، وأنا أتصبب عرقًا من الخوف.

قال: مقالك رائع جدًا (وما زلت أذكر هذا الحوار)، استمر في توعية الجمهور، بارك اللّه فيك.

وانتهى الحديث وانتهى الخوف وبدأ التشجيع والإحساس بالمسؤولية، على الرغم من أنها بضع كلمات من الأخ المسؤول (استمر في توعية الجمهور)، وكتبت بعدها عددًا من المقالات، كانت كلها تدور حول نفس الموضوع، وكان ذلك بمباركة من الداخلية.

وفي الحقيقة كان للإخوة في الداخلية دور كبير جدًا أثناء حرب الخليج وتحرير الكويت في ضبط الشارع والنفوس، وعلى الرغم من أنها كانت فترة عصيبة لم نعشها قبل ذلك، ونرجو من اللّه سبحانه ألا نعيشها ولا يعيشها أبناؤنا بعد ذلك.

في منتصف التسعينيات من القرن الماضي عندما حاولت فئة ضالة أن تعكر صفو أمن البلاد تعاملت معها وزارة الداخلية بكل حرفية وإنسانية، فنقضت غزل المؤامرة التي كانت تحاك للبحرين من الخارج من غير أن يشعر المواطن بالكثير من الاضطرابات.

وفي الأحداث الأخيرة عام 2011 تعاملت وزارة الداخلية مع الأزمة بمنهجية إدارة الأزمة بكل حرفية وذكاء ورقي وإنسانية في التعامل، فلم نرها تفقد أعصابها وهدوءها على الرغم من كبر حجم المؤامرة الخارجية التي جاءت من عدة أطراف.

وعندما انفجرت طائرة طيران الخليج وتبعثرت الجثث في مياه البحر، كان لرجال الأمن دور كبير في إدارة الكارثة والأزمة، وكنت أنا شاهداً على ذلك.

مستويات عالية في التعامل وإدارة الأزمات نستشعرها نحن الذين نعيش في البلاد، ونحن أصدق لسان يتحدث عن هذا الصرح.

ذات مرة، عندما استيقظت في الصباح وقبل ذهابي إلى العمل شعرت أن هناك أمراً غريباً حدث في المنزل، كانت ليلة عاصفة وشديدة الهيجان، إذ شاهدت أن أنبوبة المياه الخارجية للمنزل مكسورة وبعض الأغراض متناثرة وما إلى ذلك، فهل كانت العاصفة هي السبب ؟ لا أعلم.. إلا أن الأمر كان مريباً.

ثم شاهدت بقعة من الدم على سور المنزل، فاتصلت بالإخوة في مركز شرطة الحد، فتم أخذ عنوان المنزل وقال لي الشرطي: انتظر لحظات سوف يأتون.

وبالفعل كلها دقائق معدودة وشاهدت سيارة الشرطة تقف أمام منزلي، وكانوا 4 شبان بحرينيين من المختبر الجنائي والتحقيقات – ربما، فأنا في

الحقيقة لا أعرف أقسام الشرطة – وبعد أن قاموا بمعاينة المكان، قال لي أحد الإخوة الضباط: هناك شخص قفز إلى منزلك ليلاً، وصعد إلى السطح.. لا نعرف السبب ولكننا سنجده اطمئن، يمكنك الآن الذهاب إلى العمل وسوف نتصل بك اليوم أو غداً.

وبالفعل بعد ساعة بالضبط، اتصل بي الأخ الضابط وقال لي: أبشر لقد أمسكنا الجاني، تعال إلى المركز لنكمل التحقيقات.

أليست هذه خدمة رائعة ؟ تصوروا كلها ساعة من الزمان لا أكثر، تم القبض على الجاني، هل يحدث ذلك في أي دولة أخرى ؟ لا أعتقد.

وعندما طُلب مني تدريس مادة البيئة في أكاديمية الشرطة لأول مرة، شعرت بالخوف، فكيف يمكن التعامل معي وأنا رجل مدني وليس لي أي علاقة بالشرطة والرتب والدرجات العسكرية، ولكن وجدت تعاملاً في غاية الرقي والأدب، ليس من الضباط والعاملين فحسب وإنما حتى من الطلبة والدارسين، فقد كانوا يتعاملون معي بكل أدب واحترام، فقد كنت أخجل من نفسي في بعض الأحيان عندما أشعر بكل هذا الاحترام والأدب.

وذات يوم استأذنت من إدارة الأكاديمية أن أصحب بعض الطلبة إلى مؤتمر (الرياضة والبيئة) التي أقمناها في البحرين آنذاك، حضر يومئذ حوالي 30 طالبًا، دخلوا القاعة قبلي فلم أشاهدهم وهم يدخلون، ولكن عندما دخلت القاعة ووجدتهم هناك بملابسهم الرسمية، شعرت بالفخر

أن هؤلاء يومًا ما سيحافظون على أمن الوطن، فأصحاب هذه العقلية الشابة المتفتحة سيحفظون الوطن، حقيقةً افتخرت بكم ذلك اليوم وما زلت.

أما طلبة الدراسات العليا الذين يدرسون اليوم في تخصص إدارة الأزمات والكوارث فلا يمكن وصف الوقت الذي أقضيه معهم إلا بأنه من أجمل الأوقات وأسعدها، فهؤلاء هم شباب البحرين.

قدمت خلال الأعوام الماضية مجموعة من الدورات التدريبية لأفراد ضباط وزارة الداخلية والعديد من المحاضرات، وفي العام الماضي قدمت دورتين؛ واحدة عن التنمية المستدامة والأخرى عن الحوكمة الإدارية، وهذا يعني مرونة التطور الإداري والهيكل التنظيمي الذي يتم اليوم في أروقة الوزارة، وعندما جلست مع الأخ العميد عادل أمين الوكيل المساعد للموارد البشرية وتحدثنا شعرت بمدى رقي هذا الفكر الإداري الذي يدير هذه المؤسسة، وعندما أفضيت له بما يدور في نفسي ابتسم وقال: هذا تفكير معالي الوزير الشيخ راشد بن عبدالله فهو الذي يشجعنا على المضي قدمًا عندما نفكر بطريقة التفكير خارج الصندوق، فهو دائمًا يحثنا على التوسع في التفكير، التفكير من غير قيود.

هذا الحديث ذكرني بحديثي مع الأخ العميد محمد بن دينه مدير الإدارة العامة للإعلام والثقافة الأمنية فقد قال لي ذات يوم نفس هذا الكلام، إذ قال: عندما التقيت أول مرة معالي الوزير، بعدما تم نقلي من المرور إلى

الأمن العام وكلفت بمهامي، في اجتماع معه قدمت له العديد من المقترحات والتصورات الحديثة لتطوير الإعلام الأمني والثقافة الأمنية، فسألني سؤالاً: هل تستطيع أن تفعل هذا ؟ قلت: نعم أستطيع. فقال لي: توكل على اللّه واعمل.

كل هذه الحوارات وهذه الأحداث وإن كانت بسيطة تبين لنا مدى رقي هذا الفكر الإداري الذي يدير هذه المؤسسة، ورقي الفكر الإداري لمعالي الوزير الفريق أول ركن الشيخ راشد آل خليفة ورقيّ فكر الرجالات الذين يعملون معه بهدف الارتقاء بالبحرين.

فتحية لرجال ونساء الداخلية في أيّ موقع وفي كل موقع، وهنيئًا لكم هذا العيد المئوي الذي نتشرف به جميعًا.